

Journal DOI:

<https://doi.org/10.64184>

Journal Email:

info@ashurjournal.com

Journal home page:

<https://ashurjournal.com/index.php/AJLPS/about>



This journal is open access & Indexed in

IRAQI
Academic Scientific Journals

Google الإبداع العلمي

 Crossref

Article Info.

Sections: Law.

Received: 2025 April 5

Accepted: 2025 April 29

Publishing: 2025 September 1

The theoretical Construction of liquid modernity according to (Zygmunt Bauman)

M.D. Mohammed Hazem Hamed

College of Political Science/University of Mosul

mohammedhazm@uomosul.edu.iq

Abstract

The Polish thinker (**Zygmunt Bauman 1925- 2017AD**) introduced the term liquid modernity in his book Liquid Modernity, and then followed it with several works known as the Liquidity Theory, in which he criticizes contemporary human life in its various aspects of the Western postmodern era, Especially political, economic and social, He presented a theoretical construction for this term, which included intellectual connotations and structural manifestations. Therefore, the research was organized into two sections, The first revealed the intellectual connotations of liquid modernity, and the second clarified the structural manifestations of liquid modernity.

Keywords: Theoretical Construction, liquid modernity, Zygmunt Bauman, contemporary Western political thought, Postmodernism.

هذه المجلة مفتوحة الوصول وجميع البحوث مفهرسة في هذه



Crossref



المبادئ العلمية

IRAQI
Academic Scientific Journals

معلومات البحث	
القسم: القانون.	تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥ ابريل ٥
تاريخ النشر: ٢٠٢٥ سبتمبر ١	تاريخ القبول: ٢٠٢٥ ابريل ٢٩

البناء النظري للحادثة السائلة عند (زيجمونت باومان)

م.د. محمد حازم حامد

جامعة الموصل/ كلية العلوم السياسية

mohammedhazm@uomosul.edu.iq

الملخص

طرح المفكر البولندي (زيجمونت باومان ١٩٢٥ - ٢٠١٧م)، مصطلح الحادثة السائلة في كتابه الموسوم: (الحادثة السائلة)، ثم أزدقه بمؤلفات عدة، عُرِفَتْ بنظرية السيولة، يَنقُدُ فيها الحياة الإنسانية المعاصرة في جوانبها المختلفة لمرحلة ما بعد الحادثة الغربية، لا سيما السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لذا قَدَّمَ بناءً نظرياً لهذا المصطلح، تضمن الدلالات الفكرية، والتمظهرات البنيوية، وقد انتظم البحث في مبحثين، كشف الأول: الدلالات الفكرية للحادثة السائلة، وبَيَّن الثاني: التمظهرات البنيوية للحادثة السائلة.

الكلمات المفتاحية: البناء النظري، الحادثة السائلة، زيجمونت باومان، الفكر السياسي الغربي المعاصر، ما بعد الحادثة.

المقدمة

شهدت مرحلة ما بعد الحداثة في الفكر السياسي الغربي المعاصر، نقداً بالغاً على مرحلة الحداثة من حيث الأسس والسرديات الكبرى، لكن مرحلة ما بعد الحداثة لم تسلم هي الأخرى من نقد تناوله المفكرون والفلاسفة الغربيون؛ لأن الأفكار الإنسانية هي بشرية فيعتورها الخطأ والخلل؛ لأنها ليست مقدسة، فضلاً عن كونها نسبية يخالطها التعدد والتباين؛ لأنها ليست مطلقة، وهكذا فإن منتوجات العقل الإنساني تُوسم بعدم قدسيتها ومطلقيتها. ومما يتميز به العقل السياسي الغربي المعاصر، أنه عقل ناقد لما ينتجه من أفكار وفلسفات؛ لتشخيص الإشكاليات وطرح المعالجات، وبالنتيجة الإسهام في تجويد الحياة الإنسانية، ومفتاح العملية النقدية للأفكار السياسية هو المصطلحات؛ لأن الفكر الساسي يرتكز على المصطلحات ودلالاتها، فضلاً عن مضامينها ومُتبنّياتها، وهذا ما عمل عليه المفكر البولندي (زيجمونت باومان ١٩٢٥ - ٢٠١٧ م)، في نقده لمرحلة ما بعد الحداثة.

أولاً: أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من تناوله مصطلح جديد ينقذ الحياة الإنسانية المعاصرة في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمرحلة ما بعد الحداثة الغربية، ألا وهو (الحداثة السائلة)، وذلك عبر إبانة دلالاتها الفكرية وتمظهراتها البنيوية كما طرحها (زيجمونت باومان)، الذي يُعد من أهم المفكرين والفلاسفة الغربيين المعاصرين.

ثانياً: إشكالية البحث

يحاول البحث الإجابة عن تساؤل مفاده: ما هية البناء النظري للحداثة السائلة عند (زيجمونت باومان)؟، ومن هذا التساؤل المركزي، ينبثق تساؤلان هما: ما الدلالات الفكرية لمصطلح الحداثة السائلة؟، هل هناك تمظهرات بُنيوية للحداثة السائلة؟.

ثالثاً: فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث من فكرة هي: (طرح (زيجمونت باومان) بناءً نظرياً فكرياً للحداثة السائلة، تمثل بالدلالات الفكرية والتمظهرات البنيوية لتلك الحداثة).

رابعاً: منهج البحث

بناءً على إشكالية البحث، وانطلاقاً من فرضيته، سيتم الاعتماد على المنهج الاستنباطي، وعلى المدخل الوصفي؛ لفهم وتحليل البناء النظري للحداثة السائلة عند (زيجمونت باومان).

خامساً: هيكلية البحث

اقتضى البحث تقسيمه على مبحثين فضلاً عن المقدمة والخاتمة، درس المبحث الأول: الدلالات الفكرية للحداثة السائلة، وبيّن المبحث الثاني: التمظهرات البنيوية للحداثة السائلة.

المبحث الأول

الدلالات الفكرية للحادثة السائلة

الحادثة السائلة، مصطلح معاصر طرحه (زيجمونت باومان) في كتاب ألفه عام ٢٠٠٠ م، والموسوم بـ (الحادثة السائلة)، وهو مفهوم مجازي يعبر به عن حالة واقعية تمرُّ بها الحادثة الغربية بوصفها فكراً وفلسفة، ورُبَّما لأنه مولع بالأدب فمصطلحاته مجازية تعبر عن حالة واقعية، لا سيما أنه وضع سلسلة كتب فكرية وفلسفية أطلق عليها تسمية (نظرية السوائل أو السيولة)، وهي مجموعة كتب أبرزها: (الحادثة السائلة، الحب السائل، الحياة السائلة، الخوف السائل، الأزمنة السائلة، الأخلاق السائلة، الثقافة السائلة، المراقبة السائلة، الشر السائل).

إذ يمكن تعريف الحادثة على وفق (زيجمونت باومان)، بأنها: "زمن أو طريقة الحياة، التي ينشأ فيها صنع النظام من خلال تفكيك النظام التقليدي والموروث والمقبول، إذ يعني الوجود بداية جديدة دائمة"^(١)، وتستهدف هذه الحادثة كما يُبين، في السيطرة على الحياة والطبيعة، والتحرر من التبعية والعبودية، وقد تجسدت بصورة واضحة في القرن الثامن عشر الميلادي (عصر التنوير الأوروبي)^(٢)، والحادثة في حالة تطور مستمر إلى الأبد، والتحديث في حالة من الديمومة والهوس واللاً نهائية، لهذا فإن الأنموذج الحداثي للحياة الإنسانية لن يكتمل^(٣)، أي أن بُنية الحادثة تكشف بكونها ديمومة مستمرة؛ لكون محفزها هي عملية التحديث التي لا حدود لها، وقد غادرت المجتمعات الغربية عصر الحادثة، واستتحت عصر ما بعد الحادثة بعد الحرب العالمية الثانية لا سيما نهاية الخمسينيات، كما يُبين ذلك الفيلسوف الفرنسي (جان فرانسوا ليوتار ١٩٢٤ - ١٩٩٨ م)؛ إذ شهدت المجتمعات الغربية تغييرات ثقافية وفكرية وفلسفية كبيرة، جعلها تتفد الحادثة وسردياتها الكبرى^(٤)، فشكّل ما بعد الحادثة عَصراً مغايراً للحادثة.

ويؤيد (زيجمونت باومان)، الفكرة المركزية القائلة بكون عصر ما بعد الحادثة هو نقد على عصر الحادثة وتشخيص لسلبياته؛ بسبب مجموعة من التحولات شهدتها المجتمعات الغربية، لكنه يعتقد بأن التسمية الأصح هي الحادثة السائلة؛ لأن (ما بعد) تُوجي بانتهاء الحادثة وهذا قول مبالغ فيه؛ لكون الحادثة مشروع لن يكتمل ولن ينتهي؛ فالغربيون حداثيون وسيبقون يعملون على تحديث كل شيء، فالحادثة مستمرة لكن بطريقة متباعدة، لذا فإن مصطلحات (الحادثة المتأخرة) لعالم الاجتماع الإنجليزي (أنطوني جينز ١٩٣٨ م-)، و(الحادثة الثانية) لعالم الاجتماع الألماني (أوليرش بيك ١٩٤٤ - ٢٠١٥ م)، و(الحادثة الفائقة) لعالم الاجتماع الفرنسي (جورج

(١) زيجمونت باومان، ما بعد الحادثة وعذاباتها، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٤، ص ٢١.

(٢) زيجمونت باومان، الموت والخلود واستراتيجيات الحياة الأخرى، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢١، ص ٢٠٢.

(٣) زيجمونت باومان، الحادثة والهولوكوست، ترجمة: حجاج أبو جبر ودينا رمضان، مراجعة وتقديم: حجاج أبو جبر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤، ص ص ٣٤١ - ٣٤٢.

(٤) للاستفاضة، يُنظر: جان فرانسوا ليوتار، الوضع ما بعد الحداثي تقرير عن المعرفة، تصدير: ريدريك جيسمون، ترجمة: أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤، ص ص ٢٣ - ٣٩.

بالانديه ١٩٢٠ - ٢٠١٦م)، لا تتسجم مع ما حدث واقعاً، فهي مصطلحات مرفوضة كما يرى (زيجمونت باومان)، على حين مصطلح (الحادثة السائلة) يشير إلى ما هو مستمر لكنه غير متصل، فهو الأنسب في التعبير عن هذه التغييرات وإدراك استمرارها^(١)، أي أن الحادثة السائلة لها المقدرة على كشف كُنه تلك التغييرات وتوصيفها فكرياً وفلسفياً.

لذا يُعَلَّل (زيجمونت باومان)، أن مصطلح (ما بعد الحادثة) مرفوض لسببين، هما^(٢):

١- لا يكشف ما يحدث في أرض الواقع، وإنما يخفي الدلالة الحقيقية؛ لأن ما بعد الحادثة بيّنت ادّعاءات الحادثة وطموحاتها الكبرى التي لم تتجح في تحقيقها، وإنما خدعت الإنسانية فيها.

٢- هذا المصطلح حدد الأشياء المرفوضة والمهجورة، ولم يستدع الأشياء التي خلّت محلها، لذا فثمة حاجة إلى استعمال مصطلح جديد، يعبر عن الواقع الجديد وسماته، بدلاً من التعبير عمّا ليس عليه هذا الواقع، لذا تم استعمال مصطلح السيولة؛ بوصفها صورة مجازية للتعبير عمّا يحدث.

ويعتقد (زيجمونت باومان)، أن الحادثة السائلة هي فترة زمنية انتقالية بين فترتين، يُطلق عليها تسمية "خلو العرش"، أي بين نظام الحادثة الصلبة الذي انتهى، ونظام جديد لم تتبلور معالمه بعد؛ فالحادثة السائلة كما يقول: "فترة تتعطل فيها الممارسات القديمة، ولا تصلح فيها أنماط الحياة المتوارثة أو المكتسبة في التعامل مع الوضع الإنساني الراهن، لكنها أيضاً فترة لم تشهد ميلاد الممارسات الجديدة وتفعيلها من أجل التعامل مع أنماط الحياة الجديدة وتحدياتها على نحو أفضل يتلاءم والظروف الجديدة... والأهم من ذلك أننا بعكس أسلافنا نفتقر إلى صورة واضحة لوجهة نبذو أننا نتوجه إليها ونقصدها، وجهة تمثل أنموذجاً لمجتمع عالمي، واقتصاد عالمي، وسياسة عالمية، وسلطة قضائية عالمية"^(٣)، أي هو يُبين بأن الحادثة السائلة مرحلة زمنية انتقالية تعيشها الإنسانية لا سيما المجتمعات الغربية، بعد انتهاء أنموذج الحادثة الصلبة، وعدم تبلور أنموذج جديد، يُدخل الحادثة الغربية في تضادية فكرية مجازية (صلبة وسائلة)، معتقداً أن السيولة مرحلة مؤقتة؛ لحين تبلور أنموذج جديد تهتدي به المجتمعات الإنسانية.

ويُحدّد (زيجمونت باومان)، سِمَتَيْنِ أساسيتين للحادثة السائلة، تجعلها مغايرة للحادثة الصلبة، هما^(٤):

١- سقوط الوهم الفكري والفلسفي الذي نادت به الحادثة الصلبة، بأنه ثمة نهاية للطريق ستبْلُغه الإنسانية، والمتمثل بتحقيق حالة الكمال والوصول إلى الغاية الكبرى، أي خلق مجتمع فاضل، تسوده العدالة، خالٍ من أية مشكلات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية، والسيطرة التامة على الطبيعة، فتعيش الإنسانية في سعادة ورخاء.

(١) زيجمونت باومان وكيت تيستر، هكذا تكلم زيجمونت باومان، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥، ص ص ٩٠ - ١١٨.

(٢) زيجمونت باومان وكارلو بوردونى، حالة الأزمة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ٩٧.

(٣) زيجمونت باومان، الحادثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٦، ص ٢٥.

(٤) زيجمونت باومان، الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٧٤ - ٧٥.

٢- خصخصة الواجبات والمهام التحديثية، وغياب الضوابط الحاكمة لعملية التحديث، فما كان يُعد من واجبات المجتمع والدولة، أضحي واجباً فردياً، على الأفراد أن يقوموا به ويديرونها، فعلى الرغم من أن عملية التحديث لم يتركها المجتمع والدولة بصورة تامة، لكن العبء الأكبر يقع على عاتق الأفراد؛ إذ ينبغي عليهم أن يختاروا النماذج والأساليب التحديثية الملائمة لهم.

ويرى (زيجمونت باومان)، أن السيولة تستمد قوتها وديمومتها من عملية التحديث، الذي يُعرّفه بـ: "تميع وإذابة مجموعة كبيرة ومتنوعة من الكيانات الثابتة المستقرة، أو الكيانات التي تستمد بقاءها واستمراريتها من داخلها على نحو ثابت (البنى الاجتماعية، الروابط الإنسانية، النماذج السلوكية، النماذج القيمية)، ناهيك بما يترتب على ذلك التميع من إضعاف لقوتها وقبضتها على الأنموذج الإنساني للوجود في العالم، فكان التحديث المتواصل منذ بدايته وحتى يومنا هذا، السمة البارزة للحدث، وهكذا فإن ما تتميز به طريقة الحياة الحديثة عن أنماط الحياة السابقة السائدة، يكمن في التحديث الوسواسي القهري الإدماني، إنه يكمن -دعوني أكرر- في الإذابة المتواصلة والإحلال السريع للبنى والنماذج الدائبة"^(١)، وعن هذه العلاقة الحتمية بين التحديث والحدث، يقول (زيجمونت باومان): "لا يمكن تصوّر الحدث إلا بوصفها تحديثاً وسواسياً قهرياً متواصلًا"^(٢)، فلا حدث دون عملية تحديث، فالسيولة قرينة التحديث وملزمة له، وهذه العملية هي المنتجة للسيولة التي هي الهدم (الإذابة) المستمر، والبناء (الإحلال) السريع للنماذج والبنى، فكأنما ما يتمّ بناؤه مهدوم مسبقاً، أي أن السيولة هي تفكيك وتركيب دائم لا هواده فيه، وهذا يعني أن كل حدث هي سائلة، فلماذا إذاً يتمّ التفريق بين حدث صلبة وأخرى سائلة؟.

يُفسّر (زيجمونت باومان)، هذه الإشكالية، بأنه من الصواب أن الحدث منذ بدايتها كانت تستهدف إذابة كل ما هو صلب، ولكنها لم تكن تعمل ذلك، بسبب كراهية تلك الأشياء الصلبة، أو احتقارها؛ وإنما لأنها لم تكن متماسكة إذ كانت تتداعى، لذا فإن الهدف المعلن هو إلغاء هذه الأشياء الصلبة البالية، ليتمّ إحلال أشياء صلبة متماسكة بدلها، تمّ تصميمها بطريقة مُحكّمة عقلانية؛ لتقاوم التآكل والتداعي، أما الآن فقبل أن تتصلب المادة المذابة في قالب معين، فإنها تذوب مجدداً، وبهذا يكون الاستقرار مؤقتاً وعابراً، لهذا فإن النماذج والبنى تتفكك وتتحلل قبل أن تكتمل وتتماسك، والهدف ليس جودة الصلابة في الاستقرار المؤقت والعابر؛ وإنما مرونة التفكك، إذ يقول مُشبهاً: "وهذا يعني إن العُقد التي نعقدها، تحتاج إلى أن تكون قابلة للفك بسحب الخيط مرة واحدة، وهذا أشبه بمقدرتنا الجديدة على وضع صورة على شاشة (الآيباد) أو إزالتها بإصبع واحدة"^(٣)، فالسيولة كانت موجودة في الحدث الصلبة، كما هي في الحدث السائلة، لكن آلية العمل والتعاطي متباينة؛ فالسيولة في الحدث الصلبة تُذيب الأشياء الصلبة غير المتماسكة لتأتي مكانها أشياء صلبة متماسكة أي لتحقيق الثبات، فالسيولة

(١) المصدر نفسه، ص ص ٢٠ - ٢١.

(٢) زيجمونت باومان، الخوف السائل، تقديم: هبة رؤوف، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٧، ص ١١١.

(٣) زيجمونت باومان وكارلو بوردون، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨.

هنا وسيلة، على حين السيولة في الحادثة السائلة تفعل ذلك لأجل التغيير فقط، فالسيولة هنا تحوّلت من وسيلة إلى غاية.

وبهذا، فإن دلالة السيولة وطبيعتها متغيرة في الحادثة السائلة، لذا وسمّيت السيولة تلك الحادثة، وجعلت خياراتها مفتوحة، إذ يقول (زيجمونت باومان): "في ظل حالة السيولة، كل شيء يمكن أن يحدث، ولكن لا شيء فعله يمكن أن نفعله في ثقة واطمئنان، فنتولد حالة من اللأ يقين تجمع بين الإحساس بالجهل (استحالة معرفة ما سيحدث)، والعجز (استحالة منع ما سيحدث)، والإحساس بالخوف الذي ينبت في النفوس من دون أن نستطيع إدراكه ولا تحديده ولا وصفه"^(١)، إذ يقول (زيجمونت باومان): "إن الخوف هو الاسم الذي نُسمّي به حالة اللأ يقين التي نعيشها، وهو الاسم الذي نُسمّي به جهلنا بالخطر، وبما يجب فعله لمنع الخطر، وبما يمكن فعله لمنعه وبما لا يمكن فعله، أو بما يمكن فعله لصّدّه إذا لم يكن لنا طاقة بمنعه"^(٢)، فاللأ يقين برؤية (زيجمونت باومان)، هو: (الشعور بالجهل بمصير الأمور، وهكذا فإن اللايقين قرين الجهل)^(٣)، أي عدم معرفة إلى أين تتجه الأمور؟، وماهي مآلاتها؟، وهكذا فإن اللأ يقين ملازم للسيولة ومقترن بها، ومنتج للإحساس بالخوف وحالة القلق الإنساني.

لذا يُجَلّي (زيجمونت باومان)، أنه في الحادثة السائلة، يتمّ الاستيلاء من صلابة الأشياء؛ لأن هذه الصلابة مصدر للتهديد الإنساني وكثرة الالتزامات، وهي بالتضاد من حرية الحركة، والقدرة على أخذ فرص جديدة،^(٤)، لذا فإن البنى والنماذج الهشة، التي تتفكك بعد تركيبها مباشرة، هي الحالة المثالية والغاية المنشودة في عصر الحادثة السائلة، إذ ثمة خوف ورغبة من الأشياء الثابتة التي تبقى أكثر مما يجب، أي بعد استضافتها والترحيب بها^(٥)، إذ يقول: "فمن طبيعة السوائل أنها عاجزة عن الاحتفاظ بصورها وأشكالها المتوالية، فالسوائل في صيرورة دائمة، فلا تستقر على حالها، بل تتحوّل باستمرار من حال إلى حال"^(٦)، وهكذا أصبحت السيولة مُحِبّة ومطلوبة، على حين الصلابة مخيفة ومنبوذة.

كما يكشف (زيجمونت باومان)، طبيعة السيولة واستهدافها للصلابة؛ فالمواد السائلة تجري وتنسكب وتتساب بسهولة جداً، ولا يمكن إيقافها كما هو الحال مع المواد الصلبة، وهي تدور حول بعض العوائق الصلبة، وتُذِيب أخرى، كما تتخر عوائق أخرى من أجل اختراقها، وهذه المواد السائلة تخرج سليمة عندما تحتك بالمواد الصلبة، أما المواد الصلبة التي احتكت بها، فإنها إن بقيت صلبة، فلا بُدَّ أن يصيبها التغيير (الرطوبة والبلل)،

(١) زيجمونت باومان، الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٣.

(٢) زيجمونت باومان، الخوف السائل، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

(٣) زيجمونت باومان وكارلو بوردون، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٤) زيجمونت باومان، ٤٤ رسالة من عالم الحادثة السائلة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شيريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٢، ص ١٣١.

(٥) زيجمونت باومان، الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨.

(٦) زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، الشر السائل العيش مع اللا بديل، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ١٩.

كما أن المواد السائلة على علاقة متلازمة مع الزمن؛ لأنها متغيرة دوماً وخاضعة للزمن فتؤكدده، خلافاً للمواد الصلبة التي تهمل الزمن؛ لأنها ثابتة ومقاومة للزمن فتلغيه^(١)؛ لأن السيولة تتفاعل مع الزمن وتوظفه في عملها، وتريد أن تكون كالزمن لا يثبت على توقيت، خلافاً للصلابة.

لما تقدم، فإن الحادثة السائلة كما يؤمن (زيجمونت باومان)، تُعد نقيصاً للحادثة الصلبة؛ لأن ميراث الحادثة الصلبة قد ذاب كله أثناء عملية الإذابة والتميع، ما عدا الهوس بالإذابة وإدماها ووسواسها القهري، الذي أصبح القاعدة الطبيعية الحاكمة للنظام الجديد، ففي هذا النظام وكما يقول: "المرونة هي الثابت الوحيد، والزوال هو الدوام الوحيد، والسيولة هي الصلابة الوحيدة، وباختصار شديد اللأ يقين هو اليقين الوحيد"، وهكذا، يتحوّل التحديث إلى نشاط مضطرب مهووس بعمليات الإذابة والتميع بدون خط نهاية خلافاً للحادثة الصلبة التي تسعى لحالة الكمال والسعادة الإنسانية، وبهذا فإن الحادثة السائلة هي حادثة لا نهائية؛ لأن القائمين على التحديث لا يرغبون في إنهاء نشاطهم؛ إذ هدفهم الحفاظ على قوتهم وقدرتهم على مواصلة الطفرات التحديثية بلا نهاية، ويقومون بتهيئة الناس لتقبّل هذا الوضع الجديد والتسليم به، ففي الحادثة الصلبة كان التحديث (التغيير) لأجل الوصول إلى الكمال والاستقرار، أما في الحادثة السائلة فإن التحديث (التغيير) هو من أجل التحديث (التغيير) فقط^(٢)، أي تحوّل التحديث من وسيلة إلى غاية، ليكون البوصلة الموجه لهذه الحادثة.

لذا يُشبه (زيجمونت باومان)، الحادثة الصلبة بأنها مجتمع أهل البستنة، على عكس الحادثة السائلة التي هي مجتمع أهل الصيد، فالصيد كالمخدر ما أن يُجرّب الإنسان حتى يتحوّل إلى عادة وهوس؛ لأن صيد الطريدة يُعد نهاية مخيبة للطموح، وتغري ببداية جولة جديدة من الصيد تحقيقاً للمتعة والإثارة، وهكذا سيظل الأفراد مهوسون بالصيد، وهكذا فإن يوتوبيا أهل الصيد حلم لا ينتهي فيه الطريق، بخلاف يوتوبيا أهل البستنة^(٣)، وهكذا يؤكد (زيجمونت باومان)، أن في الحادثة الصلبة ثمة تصوّر مسبق لوجود حالة نهائية يتم الوصول إليها، وتمثل حصيلة نهائية لجهود النظام، كأن تكون (نظام متوازن، اقتصاد مستقر، المجتمع العادل، الحكم الرشيد)، على حين في الحادثة السائلة لا توجد هذه السمة أبداً؛ لأن التغيير المستمر هو الموجه لهذه الحادثة، وقوى التغيير (الأسواق المالية) تحقق لها مستويات ملائمة لكنها مؤقتة، لذا هي تبحث عن مستويات أفضل في حركة دائمة لا تعرف التوقف^(٤)، فالقوى الاقتصادية القائدة للحادثة السائلة هي التي تجعلها بلا حالة نهائية تسعى للوصول إليها، والعلة كامنة في تعظيم المنافع والأرباح المادية.

(١) زيجمونت باومان، الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٢٢ - ٢٣، ص ٢٩.

(٣) زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ٣٣.

(٤) زيجمونت باومان، الجماعة بحثاً عن الأمان في عالم غير آمن، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهياري، البصرة، ط ١،

٢٠٢٥، ص ٨٩.

كما يعتقد (زيجمونت باومان)، بوجود علاقة قوية بين السيولة المذهلة وتطور الحضارة الغربية الحديثة^(١)؛ فالنظام الرأسمالي في صورته الاستهلاكية المعاصرة، أصبحت الاستهلاكية سمة للحرية وملازمة لها، إذ يمارس الإنسان حرية الاستهلاك في فضاء واسع جداً^(٢)، إذ يقول: "جميع أوجه الحياة الإنسانية قد جرى اختزالها في جانبها الاقتصادي، الموزون بلغة المال والأرقام"^(٣)، لذا فإن سيولة الحياة المعاصرة لم تتأت من فراغ؛ وإنما تجد جذورها في عمق الرأسمالية الغربية وتطوراتها الثقافية والفكرية.

وقد تناول هذه الفكرة ذاتها، المفكر الفرنسي (جيل ليبوفتسكي ١٩٤٤م-)، إذ يذكر (إن الرأسمالية هي الصانع الأبرز لثقافة المتعة والاستهلاك، اللذان أصبحا سلوكاً عاماً في الحياة اليومية للإنسان؛ بفعل الدعاية والموضة ووسائل الإعلام وانتشار القروض، لذا فإن القيم السائدة في المجتمعات هي المتعة وتشجيع الإنفاق والاستمتاع بالحياة والاستسلام للنزوات الفردية، فالمجتمعات الغربية تُقدّس الاستهلاك والترفيه والاستمتاع، لذا فإن أسلوب الحياة المعاصرة قد تغير بفعل التحولات الرأسمالية)^(٤)، ويشاطره الرأي كذلك، المفكر الفرنسي (جيروم باشيه ١٩٦٠م-)، بتأكيد أن الرأسمالية قد حوّلت الإنسانية إلى سوق كبيرة، تسودها المحفزات على الاستهلاك المتزايد؛ تحقيقاً للأرباح المادية، لتكون المجتمعات مُسلّعة، إذ يقول: "إن الرأسمالية ليست فقط نظاماً اقتصادياً، لكنها مجتمع اقتصادي تتأسس فيه الذوات والعلاقات بين الذوات من منظور سلعي للحياة"^(٥)، وهذا كله من تأثيرات الرأسمالية في الحياة الإنسانية.

كما يربط (زيجمونت باومان)، بين الحداثة السائلة والتطورات التقنية (التكنولوجية)؛ لأن التقنية هي السمة المميزة للحداثة، وهي أداة الفعل التحديثي، والحياة الإنسانية منقسمة على عالمين متعارضين: عالم الإنترنت، وعالم خارج الإنترنت، وكل عالم يؤثر في الآخر بصورة فاعلة^(٦)، وفي العلاقة بين الزمان والمكان، تمكّن الزمان من غزو المكان والسيطرة عليه، وزال الفرق بين بعيد وقريب؛ بفعل الوسائل التقنية والإلكترونية لا سيما (وسائل النقل الاصطناعية، أجهزة الهواتف النقالة، برامج الإنترنت لا سيما برامج التواصل الاجتماعي)، وهذا كله أسهم في سرعة حركة إيقاع الحياة الإنسانية وتغيير طبيعتها، وجعلها ذات سمة لحظية وآنية، وهذا الواقع المرير الذي تعيشه الإنسانية يتوافق مع الحداثة السائلة وطبيعتها؛ لأنه جعل حالة اللا يقين والتغيير المستمر

(١) زيجمونت باومان، تخطيطات في نظرية الثقافة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥، ص ٢٦٠.

(٢) زيجمونت باومان، الحرية، ترجمة: فرال حسن خليفة، مراجعة: محمد سيد حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢، ص ص ٩٧ - ٩٨.

(٣) زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، الشر السائل العيش مع اللا بديل، مصدر سبق ذكره، ص ٣٩.

(٤) جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ٨٨.

(٥) جيروم باشيه، الرأسمالية تموت: استقلالية ومجتمع فاضل وعوالم متعددة، ترجمة: عادل مهني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨، ص ٤٨، ص ١٥٥.

(٦) زيجمونت باومان وديفيد ليون، المراقبة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ٥٧، ص ١٠٥.

تسود الحياة الإنسانية^(١)، أي أن الوسائل التقنية أسهمت في بروز الحداثة السائلة وتعاظم تأثيراتها، لتكون الحياة كلها سائلة.

لذلك يشير (زيجمونت باومان)، إلى إنه ثمة علاقة وطيدة بين الحداثة السائلة والحياة السائلة؛ لأن الحياة السائلة تكوّنت في مجتمع حديث سائل، وهو مجتمع عرضة للتغيير بصورة مستمرة، وهكذا فإن سيولة المجتمع تؤدي إلى سيولة الحياة الإنسانية كلها، لهذا تركز سيولة الحياة على سيولة المجتمع، لتكون هذه الحياة السائلة كمجتمعها السائل، لا تعرف الاستقرار والثبات؛ لأن السيولة نازمة لها، والصلابة مغادرة لطبيعتها، وهكذا فإن اللّا يقين سيكون مرافقاً لهذه الحياة في جميع مفاصلها، ومن هنا تتبع خطورتها؛ لأن الحياة السائلة عبارة عن سلسلة من البدايات الجديدة والنهايات المتسارعة، وأكثر ما يخيف الإنسان هو الفشل عن اللحاق بالمستجدات المتسارعة، والتخلف عن مركب السائرين^(٢)؛ لأنه في هذه الحالة سيوسم بالتخلف والنشاز، وعدم المقدرة على متابعة مستجدات الحياة وحدثاتها السائلة.

ويرى (زيجمونت باومان)، أن الحداثة (الصلبة والسائلة) ظهرت في الغرب أولاً، ثم انتشرت في العالم كله تقريباً، الذي أضحى حدثاً بدرجات متفاوتة، لذا فإن هذا العالم أجمعه بمجتمعاته ودوله المتعددة يعاني من تأثيرات الحداثة السائلة في جوانب الحياة المختلفة^(٣)، أي ليس ثمة مكان في هذا العالم، بمنأى ومأمن من تمظهرات الحداثة السائلة وتأثيراتها، فهي ظاهرة عالمية، وإن كانت في المكان الغربي أشد؛ لأنه المنتج للحداثة، فهو الأقرب إلى التأثير السلبي للفعل الحداثي السائل.

والخلاصة، إن الحداثة لا نهاية لها؛ لأن جوهرها هو التحديث الذي يتضمن تفكيك نماذج وبُنى وتركيب أخرى، وهو المقصود بالسيولة، لكن السيولة في الحداثة السائلة، تحوّلت إلى غاية بحد ذاتها، أي التفكيك لغرض التفكيك فحسب، فكل شيء مؤقت ومتغير بصورة دائمة، بهدف تحقيق مصالح قوى السوق، لذا أصبحت الحياة كلها سائلة، يكتنفها الغموض والخطر، ويعيش فيها الإنسان حالة من القلق.

وبعد معرفة الدلالات الفكرية للحداثة السائلة، وأنها صبغت الحياة الإنسانية بصبغتها، لا بُدّ من معرفة التظاهرات البنيوية لهذه الحداثة السائلة، وهو ما سيختص به المبحث القادم.

المبحث الثاني

التمظهرات البنيوية للحداثة السائلة

تتمظهر الحداثة السائلة في كل مفاصل الحياة الإنسانية، لتطبعها بطبيعتها السائلة، فتكون مفاصل الحياة كلها سائلة، أي تسودها حالة اللّا يقين، وتكون معرضة للتغيير الدائم، وتفتقد في بُنياتها أي ثبات واستقرار، مما يجعلها محفوفة بالخطر والمغامرة، لكن سيتمّ التركيز على التظاهرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

(١) زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٥٠ - ٥٨، ص ٢١٥.

(٢) زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٦، ص ص ٢١ - ٢٢.

(٣) زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

والمفارقة في هذه السيولة المنتجة للتغيير الدائم، وكما يوضح (زيجمونت باومان)، أن هذا التغيير المتسارع اللأ متناهي لا يمكن تخفيف سرعته المذهلة، بل لا يمكن استقراء مسار هذا التغيير أو السيطرة عليه، لذا يتم التركيز على حساب مخاطر هذا التغيير، وتأثيراته في الإنسان والمجتمع^(١)، أي ليس للإنسان سوى التعاطي مع حالة السيولة التي اقتحمت حياته، وحساب تأثيراتها السلبية في المجتمع والدولة، دون أية قدرة على المقاومة أو التنبؤ.

فالسلطة التي اتصف بها أنموذج الدولة/ الأمة، أخذت بالتفكك لصالح قوى العولمة التي تهيمن على كل شيء، فلم تعد الدولة تسيطر على قطاعات الاقتصاد والأمن والثقافة، إذ ثمة انفصال في العلاقة بين السلطة والدولة، فتخلت الدولة عن وظائفها وعهدت بها إلى الأفراد^(٢)، فما زالت الدول/ الأمم مفتوحة فإنها تفقد سلطتها التي بدأت تتلاشى في فضاء عام، وبهذا عجزت عن إدارة المجتمع، وإيجاد حلول لمشكلاته المتجددة، لذا يذكر (زيجمونت باومان): (السلطة والدولة يسيران في اتجاهين متعاكسين في مجتمع أُجبر على الانفتاح بفعل قوى العولمة، لذا فإن توحيدهما رُبما يكون المهمة الأصعب التي ستواجه القرن الواحد والعشرين)^(٣)؛ لأن قوى العولمة ترفض ذلك، وتناهضه بقوة.

والدولة ومؤسساتها عاجزة عن إيجاد معالجات وطنية لمشكلات هي بطبيعتها عالمية، وبسبب فقدان السلطة ومحدودية الموارد وعالمية المشكلات، فإن الدولة لا تستطيع القيام بأعباء هذه الوظيفة، وهذا مما يؤثر في شرعيتها، لذلك فإن أنموذج الدولة/ الأمة في أزمة^(٤)، وبعد أن فقدت الدولة شرعيتها نتيجة لعدم قدرتها على أداء وظائفها، وترك المواطنين ليجدوا حلولاً فردية لمشكلاتهم؛ بسبب سيطرة قوى السوق العالمية والمحلية عليها، كان لزاماً أن تبحث الدولة عن صيغة لشرعية جديدة، متمثلة في تعظيم جانب الأمن والسلامة الشخصية؛ نتيجة للمخاوف والتهديدات الأمنية المتزايدة، التي تتعرض لها الأجساد والممتلكات والمساكن، فضلاً عن الإرهاب العالمي، لهذا تقوم الدولة بتعزيز المزيد من الآليات الأمنية والاحترازية لحماية المجتمع، وبالنتيجة الحصول على الشرعية المفقودة^(٥)، بوساطة الوظيفة الأمنية، وإن كانت لم تسلم هي الأخرى من الخصخصة كذلك.

كما أن بُنية السياسة في الحداثة السائلة، كما يُبين (زيجمونت باومان)، تعاني من فقدان النزعة الأخلاقية، وغدت وظيفة السياسة خدمة قوى السوق، بوساطة التعاطي مع رعاياها بوصفهم مستهلكين أولاً ومواطنين ثانياً،

(١) زيجمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٩٩ - ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة العيش في اللاتيقين، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٧، ص ٤٧.

(٤) زيجمونت باومان وديفيد ليون، المراقبة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٧، ص ص ١١٦ - ١١٧.

(٥) زيجمونت باومان، أرواح مهدورة الحداثة والمنبوذون منها، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهياري، البصرة، ط ١، ٢٠٢٢، ص ٧٧، ص ١٢٩.

وتأكيد أن فضيلة المواطنة تركز على الاستهلاك، فواجب المواطن الأساسي هو الاستهلاك^(١)، فالحكومات تتطلع إلى الأسواق والمستثمرين لأخذ الموافقة على سياساتها أو إيقافها، لا سيما القضايا المهمة المتعلقة بالمواطنين، أي أن الأسواق تحتكر الدولة ومؤسساتها، والأسواق كما يُعرفها (زيجمونت باومان): "اسم مختصر لقوى مجهولة الهوية بلا عنوان، قوى لا ينتخبها أحد، ولا يستطيع أحد تقييدها، والسيطرة عليها وتوجيهها"، والبرلمانات المنتخبة والحكومات أصبحت عاجزة عن أداء وظائفها، وكذلك الأحزاب السياسية؛ فهي سيئة السمعة؛ لأنها تتراجع عن عودها الانتخابية بعد فوزها، وتخضع لقوى السوق، وهذا ما أدى إلى أزمة الثقة بالدولة القومية ومؤسساتها^(٢)؛ لأنها لا تؤدي وظائفها كما ينبغي من جهة، وهي تدار من قوى السوق على وفق مصالحهم من جهة أخرى.

لقد كان رأس المال في الحادثة الصلبة، كما يُجلى (زيجمونت باومان)، يتقيد بالمكان تماماً (الرأسمالية الثقيلة)، أما في الحادثة السائلة فأن رأس المال يتحرر من المكان بكل سهولة (الرأسمالية الخفيفة)؛ فهو ينتقل في حقيبة سفر صغيرة تتضمن (هاتف نقال، حاسوب محمول، محفظة شخصية)، وهو لا يبقى في المكان أكثر مما تستغرقه عملية الإشباع والاستهلاك، كما برزت في الحادثة السائلة ظاهرة العمل اللاجسدي في عصر البرمجيات، التي تُمكن رأس المال من مرونة الحركة وسرعتها الفائقة^(٣)، أي أن الاقتصاد السائل تحكمه الرأسمالية الخفيفة ذات المرونة والسرعة والاستهلاكية.

إن الاستهلاك صفة البشر منذ القدم، إذ هو يسبق مرحلة الحادثة، لكن الاستهلاك في مرحلة الحادثة السائلة، سيمته أنه يجري في مجتمع استهلاكي يتعاطم فيه الاستهلاك ليتحول من لذة للمستهلكين إلى معيار للتقييم، ونزعة عامة للحياة، وفي هذه الفكرة، يقول (زيجمونت باومان): "إنه مجتمع يحكم على أعضائه ويُقيمهم، بما لديهم من قدرة استهلاكية، وما يتبعونه من سلوك استهلاكي"، كما أن الاستهلاك يتسم بالسرعة والاسراف والنفايات "متلازمة الاستهلاك"^(٤)، والنزعة الاستهلاكية ليست متعلقة بالاستهلاك فقط؛ وإنما هي ظاهرة متعددة الأهداف والوظائف، متعلقة بعملية تحويل البشر إلى مستهلكين بصورة أساسية، ثم جعل الجوانب الأخرى من حياتهم شيئاً ثانوياً^(٥)، أي أن يكون الاستهلاك معياراً للحياة وحاكماً لها.

وعن شيوع النزعة الاستهلاكية في الحادثة السائلة، يقول (زيجمونت باومان): "إن الشراء بشكل متسرع والتخلص من الممتلكات التي لم تُعد جذابة بدرجة كافية، من أجل وضع أشياء أكثر جاذبية في مكانها، هي أكثر المشاعر إثارة لدينا، واكتمال متعة المستهلك يعني اكتمال الحياة، أنا اتسوق إذاً أنا موجود... لقد أرغمتنا

(١) زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، العمى الأخلاقي فقدان الحساسية في الحادثة السائلة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهریار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٢، ص ص ٢٠ - ٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

(٣) زيجمونت باومان، الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ١١٠، ص ١٨٥.

(٤) زيجمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ص ١١٥ - ١١٧.

(٥) زيجمونت باومان، ٤٤ رسالة من عالم الحادثة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ٩٥.

جميعاً وأغويناً على النظر إلى التسوق بعَدّه وصفة الحياة الطيبة، والحل الرئيس لكل مشكلات الحياة^(١)، أي ربط الاستهلاك بالسعادة الإنسانية، وكأنه العلاج السحري للمشكلات، لدرجة عدّ الاستهلاك دليل على الوجود. حتى ثقافة الحداثة السائلة ليس لها من وظيفة تنويرية للمجتمع، كما يعتقد (زيجمونت باومان)؛ وإنما وظيفتها هي إغراء الزبائن، ومنع الإشباع الكامل للحاجات الموجودة؛ لخلق حاجات ونزوات جديدة، تناغماً مع الاقتصاد الحديث السائل القائم على الاستهلاك اللأ متناهي، وبهذا تسهم الثقافة السائلة في صناعة المستهلك، ليكون الإغراء "نشاط مفتوح لا نهاية له"^(٢)، فالثقافة السائلة أداة للإغراء والتسلية، وهذا كله يعزز النزعة الاستهلاكية.

فالحياة السائلة حياة استهلاكية، تُحوّل العالم بكل أحيائه وموجوداته إلى موضوع للاستهلاك، تفقد فائدتها عند استعمالها، وهي تمتلك عمر افتراضي قصير، إذا انتهى فلا يمكن استهلاكها، لذا فإن النفائات هي المنتج الرئيس وأضخم الصناعات في المجتمع الاستهلاكي الحديث السائل، مما يجعل التخلص من النفائات أحد أبرز التحديات البيئية في الحياة السائلة؛ فهذه الحياة فيها بُعدين أساسيين، الأول: لذة الاستهلاك، والثاني: أهوال القُمامة، وفي الحياة السائلة ترسخت فكرة نهاية المجتمع الفاضل؛ لأن هذه الحياة تدفع المجتمع إلى التخلي التدريجي عن كل قيمة باستثناء القوة الأمنية لحماية الأفراد^(٣)، فالمجتمع الاستهلاكي الحديث السائل، يقلل من المُثُل والكُلِّيَّات والقيم العليا، فهي لا تحظى بجاذبية كبيرة، لأنها لا تتناغم مع طبيعة هذا المجتمع الذي ينددن حول قيم الإشباع الفوري والسعادة الفردية^(٤)، تحقيقاً للمتعة ومواكبة للتطور.

لذا فإنه في المجتمع الحديث السائل، كما يبيّن (زيجمونت باومان)، تهيمن صناعة التخلص من النفائات على اقتصاد الحياة السائلة، وترتبط سعادة أفراد ذلك المجتمع بسرعة التخلص من السلع والبضائع أي إرسالها إلى عالم النفائات، فكل شيء في هذا المجتمع لا يسلم من التخلص منه بعد استعماله القليل، إذ لا شيء قابل للصمود والثبات؛ لأن الحياة السائلة لا تتوقف عن التحديث المستمر، والمراد به أن هذه الحياة تُجرّد نفسها يومياً من سماتها وتفكك هوياتها، "فالتدمير الخلاق" أضحي موضة الحياة السائلة، وهكذا فإن الحياة في المجتمع الحديث السائل مخيفة، والرهان هو في النجاة المؤقتة من الاستبعاد والإلقاء في سلة المهملات، وبهذا فإن العيش في الحياة السائلة هو "العيش في المتاهة"، والاستعداد لكل شيء^(٥)، فالخيارات كلها مطروحة، وكل شيء وارد، في إطار سيادة اللأ يقين.

وتكمن الأضرار الجانبية للاستهلاك، كما يقول (زيجمونت باومان): بـ "التسليع الكلي والشامل للحياة الإنسانية"، وفي مجتمع المستهلكين الحديث السائل، يجب أن يكون الإشباع تجربة مؤقتة، وشيئاً مرعباً إذا

(١) زيجمونت باومان، حول التعليم من انغلاق العقل إلى الثورة الدائمة محاورات مع ريكاردو مازيو، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥، ص ص ٩٢ - ٩٣.

(٢) زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) زيجمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٠ - ٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ص ٢٣ - ٢٤.

استمر لمدة طويلة، فيجب على الفرد أن يبقى في حركة مستمرة، فالأفراد الذين يكتفون بحاجات محددة، ولا يبحثون عن حاجات جديدة، سيكونون مستهلكين منبذين ^(١)، كما أن الحياة السائلة تُشيع النمط الاستهلاكي السوقي الفردي، الذي يؤدي إلى منع أي تضامن جماعي بين الأفراد، بل سيدفعهم إلى التنافس البالغ ويدخلهم في مواجهة بدلاً من التضامن، وهكذا ستضعف العلاقات الإنسانية ^(٢)؛ إذ سيهتم كل فرد بذاته وموقعه، دون أي اهتمام بالآخرين، فالأنانية والفردية هي المتحكمة في السلوك الإنساني ^(٣)، فالحياة السائلة تغيب فيها المصلحة العامة وروح الجماعة.

فالإنسان في المجتمع الحديث السائل، كما يُشخص (زيجمونت باومان)، بلا روابط اجتماعية قوية، وإنما تهيمن عليه النزعة الفردية الخالصة، وهو يخلق بعض الروابط الاجتماعية الهشة؛ لديمومة التفاعل البشري تبعاً لظروفه ووفقاً لمصالحه، وهذه الظروف والمصالح تتغير بسرعة في عصر الحداثة السائلة؛ لأن العقل الحديث السائل، يعتقد أن الروابط القوية تتضمن تبعية وتقييداً، فضلاً عن تعكير الفعل الاستهلاكي المستند إلى الاشباع الفوري الفردي ^(٤)، أي أن الروابط الاجتماعية الصلبة تقييد للحرية، وتقليل للاستهلاك المرتبط بالمتعة.

إذ المجتمع بوصفه الرابطة الوشيعة التي تجمع أفراد الدولة الواحدة، قد فقد معناه ولم يعد له وجود؛ لأن الروابط الإنسانية كانت دائمة، وجديرة بأن تُعطى الوقت والجهد، وتستحق أن يُضحى بالمصلحة الفردية لصالحها، لكنها صارت هشة ومؤقتة في الحياة السائلة، فهذه الحياة لا تشجع على التضامن والعمل الجماعي، وإنما تقلل من قيمتهما، وتحولهما إلى مجرد وسيلة آنية لتحقيق المصلحة الفردية، لذا صار المجتمع في علاقاته أقرب إلى الشبكة من البنية، أي مصفوفة من الاتصالات والانفصالات المشتتة ذات التغييرات المتعددة ^(٥)، فاضحت العلاقات الاجتماعية محكومة بالسيولة.

وفي هذا الإطار، يقول (زيجمونت باومان): "المجتمع الخاضع للنزعة الفردية، يتسم بتفكك الروابط الاجتماعية، التي تمثل الأساس للفعل التضامني، إنه مجتمع معروف بمقاومته للتضامن الذي يمكن أن يُديم الروابط الاجتماعية ويوطد الثقة بها" ^(٦)، ويقول مؤكداً هذه الفكرة: "إن مجتمعنا الذي تسوده النزعة الفردية والاستهلاكية لا يخلق التضامن، بل الريبة والمنافسة المتبادلة، والأثر الجانبي العام في هذه العملية، هو الحط من قيمة التضامن الإنساني، بمعنى نفي استخدامه في السعي إلى تحقيق الأحلام الفردية، ونجاح الأهداف

(١) زيجمونت باومان، استهلاك الحياة، ترجمة: حسن أحجيج، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٢، ص ٢٠٩، ص ١٧٢-١٧٤.

(٢) زيجمونت باومان، الأضرار الجانبية التفاوت الاجتماعي في عصر العولمة، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد الرحموني، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٢، ص ٤٠.

(٣) زيجمونت باومان وآخرون، الإدارة في عالم الحداثة السائلة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥، ص ٩١.

(٤) زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة العلاقات الإنسانية، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٦، ص ٢٧-٢٨، ص ٨٥.

(٥) زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة العيش في اللا يقين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦.

(٦) زيجمونت باومان، الخوف السائل، مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

الشخصية، وهذا الحطُّ من قيمة التضامن الإنساني يضرب بجذوره في ضعف الاهتمام بالخير العام، وسلامة المجتمع الذي تقع فيه حياة الفرد" ^(١)؛ لأن الفرد مشغول بمصلحته الفردية، ومنشغل عن المصلحة العامة. كما أن هوية الأفراد هي الأخرى لم تسلم من تأثيرات الحادثة السائلة، إذ غرّتها السيولة على وفق رؤية (زيجمونت باومان)؛ فهي لا تُمنَح عند الولادة بصورة جاهزة، أو تكون الهوية واحدة بصورة دائمة، إذ إن الهويات مشاريع يجب القيام بها ذاتياً، لذا تكون الهوية في حالة من التفكير والتركيب المستمر؛ تتأغماً مع السيولة واستجابة لمعطياتها، مما يجعل الفرد في حالة من التسليع والتشيؤ ^(٢)، والهوية في إعادة تشكُّل مستمر، ولا تصل إلى شكلها النهائي أبداً؛ لأنه ظروف الحياة السائلة وفرصها وتحدياتها متغيرة، فتكون عملية تعريف الذات متغيرة كذلك، وهذا الأمر سينعكس بالضرورة على تشكيل الهوية، لذا تكون الهوية في حالة ولادة متجددة، ولا يمكن لها أن تكون متماسكة بتاتاً ^(٣)، فالهوية أضحت سائلة كذلك، لا تعرف الاستقرار والديمومة، وإنما متغيرة مؤقتة.

ويُقرن (زيجمونت باومان)، الحادثة السائلة بالخوف السائل الذي يهemin على الحياة الإنسانية، مشيراً أنه في عصر الحادثة السائلة، يمكن أن يقع أي شيء، لكن لا أحد يستطيع معرفة مآل ذلك، والمشكلة أن طريق الهرب من الخوف هو طريق دائري يعيد إلى موقع الخوف مرة أخرى؛ لذا فإن الخوف منتشر في كل مكان، فعصر الحادثة السائلة هو زمن الخوف الدائم، والخطر المستمر، وعلة الخطر هو الإحساس بالخوف واللا يقين، فأصبح الخوف إطاراً للعقل الإنساني، وأثراً ناتجاً عن التعرض للخطر، ولهذا الخوف سِمَتان بارزتان، الأولى: شعور بفقدان الأمان؛ لأن العالم مليء بالمخاطر التي قد تقع في أي وقت، بإنداز بسيط، أو دون إنذار أساساً، والثانية: الشعور بالعجز: فعند وقوع الخطر ليس ثمة فرصة ضئيلة للهروب أو الدفاع الناجع، وينبع هذا العجز من عدم الثقة بالدفاعات المتاحة أكثر من حجم الأخطار الحقيقية، وإذا أدرك الإنسان رؤيته إلى العالم بأنه فقدان الأمان والعجز، فإنه سيلجأ حتى في ظل غياب الخطر الحقيقي إلى استجابات مناسبة؛ من أجل مواجهة الخطر والتعاطي معه، وهكذا يكتسب هذا الخوف قوة توليد ذاتية ^(٤)، مرتبط بنفسية الإنسان وشعوره الذاتي، ليكون خوفاً سائلاً يهدد الإنسان ويقلقه، وهو من نواتج حالة السيولة وحداتها.

ومن تناقضات الحادثة السائلة، كما يُشخص ذلك (زيجمونت باومان)، أنه كلما زادت قدرة الأدوات التقنية (التكنولوجية) على الفعل الأمني، بما يُمكن من السيطرة على الزمان والمكان، زادت المخاوف من عدم كفايتها على استئصال الخطر الواقع أو المحتمل، لذا يقول: "أفضل الأجيال تسليحاً بالتكنولوجيا في تاريخ البشرية، هي

^(١) زيجمونت باومان وستانسوف أوبيرك، عن الله والإنسان، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ٧٨.

^(٢) زيجمونت باومان، استهلاك الحياة، مصدر سبق ذكره، ص ص ١٩٣ - ١٩٤.

^(٣) زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحادثة السائلة، ترجمة: سعد البازعي وبشينة الإبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٦، ص ٣١، ص ٣٧.

^(٤) زيجمونت باومان، الخوف السائل، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٤ - ٢٥.

أكثر الأجيال التي يستحوذ عليها الشعور بعدم الأمان والعجز" ^(١)؛ لأن الخوف ذات مصدر ومآل مجهول، ومنعه ومواجهته مهما كانت قوية تبدو غير كافية، لذا عجزت التقنية عن معالجة حالة الخوف السائل. إن حالة الحادثة السائلة تسهم في إحداث المعاناة والآلام للفرد والمجتمع؛ بسبب ما تثيره من اللا يقين والمخاوف المتزايدة، فضلاً عن غموض المستقبل، مما يجعل البيئة الاجتماعية السائلة بيئة خطيرة محفوفة بالتدمير الذاتي لكيان الفرد والمجتمع، وهذه المسألة جماعية يواجهها كل فرد ومجتمع يعيش في عصر الحادثة السائلة، ومعالجتها تتطلب جهداً جماعياً؛ لأنها تستعصي على المعالجة الفردية، إذ لا يمكن السيطرة على عصر الحادثة السائلة وتحدياتها إلا بتكاتف الجهود وتوحيد المشاريع لإحداث التغيير ^(٢)، فالتغيير يجب أن يكون جماعياً.

لذا يدعو (زيجمونت باومان)، إلى وجوبية أن تتحمل الإنسانية المسؤولية اتجاه بعضها، وإذا تخلت الإنسانية عن الاهتمام والمسؤولية ستعيش تراجيديا شبيهة بالواقع المعاصر، الذي وقع في مساوئ لا مبالاة عالمية، واعتياد على معاناة الآخرين دون تدخل أو تأثر به، لذا يقول: "لا أحد في عالمنا اليوم يعيش أنه مسؤول، لقد فقدنا الشعور بالمسؤولية عن أخوتنا وأخواتنا، ثقافة الراحة التي تجعلنا لا نفكر إلا في أنفسنا، لا تجعلنا نُحسُّ بصراخات الآخرين" ^(٣)، فتفعيل المسؤولية الإنسانية، والتحرر من الأنانية الفردية، هما السبيل للخلاص الإنساني المنشود.

وفي الإطار ذاته، يرشد (زيجمونت باومان)، المجتمعات والثقافات الإنسانية إلى ضرورة الوعي بالبدائل المطروحة من النماذج والبُنى، لتكون بديلاً عن نماذج وبُنى الحادثة السائلة، ويربط ذلك بالحرية والمسؤولية، إذ يقول: "الوعي بالبدائل هو وعي بضرورة الاختيار، والوعي بهذه الضرورة هو بدوره وعي بالحرية، والوعي بالحرية وعي بالمسؤولية عن الاختيار، والوعي بالمسؤولية هو ما يجعلنا بشراً" ^(٤)، أي إن الوعي بالبدائل المتاحة لتجاوز الحادثة السائلة، هو وعي بضرورة اختيار البديل الناجع، وهذا مرتبط بالحرية، التي تتعلق بالمسؤولية الناجمة عن هذا الاختيار، وهذه المسؤولية هي التي تُميّز البشر.

فالحل يكمن في إيجاد فضاء عام جديد، وسياسة عالمية حقيقية، ومسؤولية عالمية حقيقية، إذ يقول (زيجمونت باومان): "إنها تتطلب اعترافاً بأننا جميعاً على هذا الكوكب نعتمد على بعضنا البعض من أجل حاضرتنا ومستقبلنا، وأن ما نفعله ونعجز عن فعله لا يمكن ألا يبالى بمصير الآخرين، وأننا جميعاً لا يمكن أن نلجأ إلى مأوى خاص، بمنأى عن العواصف التي ربّما تضرب أي جزء من الكرة الأرضية"، فالمشكلات التي تواجه الإنسانية لا يمكن إيجاد الحلول الناجعة لها وتفعيلها، إلا عبر شبكة التفاعلات العالمية والاعتماد المتبادل

^(١) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

^(٢) زيجمونت باومان، الجماعة بحثاً عن الأمان في عالم غير آمن، مصدر سبق ذكره، ص ٥٨، ص ١٧٢.

^(٣) زيجمونت باومان، غرباء على أبوابنا، ترجمة: نجيب الحصادي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٢، ص ص ٢٤ - ٢٥.

^(٤) زيجمونت باومان وستانيسواف أوبيريك، حول عالمنا وعن أنفسنا قدرة الحوار على إحداث التغيير، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٤، ص ١١.

العالمي، وهذا يتطلب خلق بيئة عالمية جديدة تهتم بالأبعاد الاجتماعية والإنسانية^(١)، وتعطيتها الأولوية لتحقيق المصلحة العامة للمجتمعات الإنسانية.

لذلك يعتقد (زيجمونت باومان)، إن البحث عن المشتركات الإنسانية أضحى حاجة ملحة، وواجباً مستعجلاً في هذا العصر أكثر من أي عصر مضى؛ لأن الإنسانية المشتركة تواجه تحدياً مصيرياً في ظل سيادة العولمة، كما أن الاختلافات الثقافية والفكرية ليست مانعة لهذه المشتركات؛ إذ يذكر: (إن الآخرين يختلفون عنا، وهذا الاختلاف ليس عائقاً أمام الجماعة الإنسانية، ولكن الإيمان بأن آراءنا هي الحقيقة المطلقة، وآراء الآخرين هي مجرد آراء، يمثلان عائقاً بالغاً لهذه الجماعة)^(٢)، إذ التسامح وقبول الآخر سيؤدي إلى التفاعل والاعتراف بالآخر، مما ينتج عنه مشتركات إنسانية تسهم في معالجة الوضع الإنساني السائل (الحدث السائل)، لتنتهي الفترة الانتقالية التي يُسميها (زيجمونت باومان)، "فترة خلو العرش"، ويتربع على العرش أنموذج حدثي إنساني، خالٍ من عيوب الحدث السائل.

والخلاصة، إن التظاهرات البنيوية للحدث السائل، شملت جوانب الحياة الإنسانية، لا سيما الجانب السياسي المتمثلة بأزمة أنموذج الدولة/ الأمة، وسيطرة قوى السوق عليها، والجانب الاقتصادي عبر سيادة الاقتصاد السائل المرتكز على الاستهلاك لتكون نزعة حاكمية للمجتمع، أما الجانب الاجتماعي، فأضحى مجتمعاً سائلاً؛ تسوده علاقات وهويات مؤقتة وعابرة.

(١) زيجمونت باومان، الحياة السائلة، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.

(٢) زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة العلاقات الإنسانية، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨، ص ٢٠٣.

الخاتمة

يُعرّف (زيجمونت باومان)، الحادثة بأنها: "زمن أو طريقة الحياة، التي ينشأ فيها صنع النظام من خلال تفكيك النظام التقليدي والموروث والمقبول، إذ يعني الوجود بداية جديدة دائمة"، ويعتقد أن الحادثة مشروع إنساني لن ينتهي؛ فهي متجددة دوماً؛ لأن جوهر الحادثة هو التحديث أي الإذابة المتواصلة للنماذج والبُنى القديمة، وإحلال نماذج وبُنى جديدة، أي عملية تفكيك وتركيب، ومن هنا تنبثق السيولة التي هي مرافقة لكل عملية تحديثية، وبهذا الفهم فإن الحادثة ترتكز على التحديث، والتحديث يرتكز على السيولة، فأضحت السيولة قرينة الحادثة.

ويُقسّم (زيجمونت باومان)، الحادثة على قسمين: عصر الحادثة الصلبة، وعصر الحادثة السائلة، وي طرح بناءً نظرياً لهذا المصطلح؛ متمثلاً بالدلالات الفكرية؛ إذ يرى أن الحادثة الصلبة التي سادت المجتمعات الغربية، كانت صلبة؛ لأن سيولتها تستهدف الإذابة المتواصلة للنماذج والبُنى المتهالكة التي ليس لها قابلية الاستمرار؛ لغرض إحلال نماذج وبُنى صلبة، فالسيولة هنا وسيلة، أي التغيير لأجل الثبات، أما في الحادثة السائلة، فالسيولة تستهدف الإذابة المتواصلة للنماذج والبُنى جميعها؛ بُغية إحلال نماذج وبُنى جديدة مؤقتة وغير متماسكة؛ لكي تتم إذابتها مرة أخرى، فالسيولة هنا أصبحت غاية، أي التغيير لأجل التغيير، لذا نعتّها بالحادثة السائلة؛ لأنها الأقرب إلى توصيف الحالة الإنسانية الراهنة، قياساً بمصطلح (ما بعد الحادثة).

أما التظاهرات البُنوية للحادثة السائلة، فقد انعكست على نواحي الحياة كلها؛ فالدولة/ الأمة في أزمة وفاقة لشرعيتها؛ لأنها تخلّت عن وظائفها، وأصبحت تُدار من قوى السوق، والاقتصاد استهلاكي سائل، في ظل الرأسمالية الخفيفة؛ يستهدف ترسيخ نزعة الاستهلاك في المجتمع لتكون حاكمة له، ورُبط الاستهلاك بالمتعة والسعادة، فحتى الثقافة السائلة أضحت وظيفتها خلق الزبائن وإغرائهم على الاستهلاك وليس التوعية والتنوير، أما المجتمع السائل ففقد دلالاته، وسادت فيه النزعة الفردية الأنانية، وغابت الروح الجماعية والمصلحة العامة، فهو مجتمع سائل بلا روابط وعلاقات متماسكة ومستقرة، كذلك فإن الهويات فيه سائلة؛ لأنها مؤقتة ومتغيرة على وفق الظروف والمصالح الفردية المحضة، لذا يؤكد (زيجمونت باومان)، إن الحادثة السائلة حياة خطيرة ومخيفة يعيشها البشر، ولا بُدّ أن يتواصلوا ويتعاونوا؛ من أجل استبدالها بِنموذج آخر، وبهذا، فقد برهن البحث على صحة فرضيته.

المصادر

الكتب المترجمة

- ١- جان فرانسوا ليوتار، الوضع ما بعد الحداثي تقرير عن المعرفة، تصدير: ريدريك جيسمون، ترجمة: أحمد حسان، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤.
- ٢- جيروم باشيه، الرأسمالية تموت: استقلالية ومجتمع فاضل وعوالم متعددة، ترجمة: عادل مهني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨.
- ٣- جيل ليويفتسكي، عصر الفراغ الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة، ترجمة: حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط ١، ٢٠١٨.
- ٤- زيجمونت باومان وآخرون، الإدارة في عالم الحداثة السائلة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥.
- ٥- زيجمونت باومان وديفيد ليون، المراقبة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٧.
- ٦- زيجمونت باومان وستانسوف أوبيرك، عن الله والإنسان، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨.
- ٧- زيجمونت باومان وستانسوف أوبيرك، حول عالمنا وعن أنفسنا قدرة الحوار على إحداث التغيير، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٤.
- ٨- زيجمونت باومان وكارلو بوردون، حالة الأزمة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨.
- ٩- زيجمونت باومان وكيت تيستر، هكذا تكلم زيجمونت باومان، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥.
- ١٠- زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، الشر السائل العيش مع اللا بديل، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨.
- ١١- زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، العمى الأخلاقي فقدان الحساسية في الحداثة السائلة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٢.
- ١٢- زيجمونت باومان، ٤٤ رسالة من عالم الحداثة السائلة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٢.

- ١٣- زيجمونت باومان، أرواح مهدورة الحداثة والمنبوذون منها، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٢.
- ١٤- زيجمونت باومان، استهلاك الحياة، ترجمة: حسن أحجيج، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٢.
- ١٥- زيجمونت باومان، الأخلاق في عصر الحداثة السائلة، ترجمة: سعد البازعي وبثينة الإبراهيم، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١٦.
- ١٦- زيجمونت باومان، الأزمنة السائلة العيش في اللاتيقين، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٧.
- ١٧- زيجمونت باومان، الأضرار الجانبية التفاوت الاجتماعي في عصر العولمة، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد الرحموني، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٢.
- ١٨- زيجمونت باومان، الثقافة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٨.
- ١٩- زيجمونت باومان، الجماعة بحثاً عن الأمان في عالم غير آمن، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٥.
- ٢٠- زيجمونت باومان، الحب السائل عن هشاشة العلاقات الإنسانية، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٦.
- ٢١- زيجمونت باومان، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٦.
- ٢٢- زيجمونت باومان، الحداثة والهولوكوست، ترجمة: حجاج أبو جبر ودينا رمضان، مراجعة وتقديم: حجاج أبو جبر، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤.
- ٢٣- زيجمونت باومان، الحرية، ترجمة: فرال حسن خليفة، مراجعة: محمد سيد حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ٢٠١٢.
- ٢٤- زيجمونت باومان، الحياة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبة رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١٦.
- ٢٥- زيجمونت باومان، الخوف السائل، تقديم: هبة رؤوف، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط ١، ٢٠١٧.

- ٢٦- زيجمونت باومان، الموت والخلود واستراتيجيات الحياة الأخرى، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢١.
- ٢٧- زيجمونت باومان، تخطيطات في نظرية الثقافة، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥.
- ٢٨- زيجمونت باومان، حول التعليم من انغلاق العقل إلى الثورة الدائمة محاورات مع ريكاردو مازيو، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، ذي قار، ط ١، ٢٠٢٥.
- ٢٩- زيجمونت باومان، غرباء على أبوابنا، ترجمة: نجيب الحصادي، صفحة سبعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠٢٢.
- ٣٠- زيجمونت باومان، ما بعد الحداثة وعذاباتها، ترجمة: محمود احمد عبد الله، دار شهريار، البصرة، ط ١، ٢٠٢٤.

References

- Translated Books

1. Jean-François Lyotard, *The Postmodern Condition: A Report on Knowledge*, Foreword by Rederic Jessemon, Translated by Ahmed Hassan, Dar Sharqiyat for Publishing and Distribution, Cairo, 1st ed., 1994.
2. Jérôme Bache, *Capitalism is Dying: Autonomy, the Utopian Society, and Multiple Worlds*, Translated by Adel Mahni, National Center for Translation, Cairo, 1st ed., 2018.
3. Gilles Lipovetsky, *The Age of Leisure: Contemporary Individualism and Postmodern Transformations*, Translated by Hafez Idokhraz, Namaa Center for Research and Studies, Beirut, 1st ed., 2018.
4. Zygmunt Bauman et al., *Management in the World of Liquid Modernity*, Translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahrayar, Dhi Qar, 1st ed., 2025.
5. Zygmunt Bauman and David Lyon, *Liquid Observation*, Translated by Hajjaj Abu Jabr, Introduction by Heba Raouf Ezzat, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed. 1, 2017.
6. Zygmunt Bauman and Stanisław Obirek, *On God and Man*, translated by Hajjaj Abu Jabr, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2018.
7. Zygmunt Bauman and Stanisław Obirek, *On Our World and About Ourselves: The Power of Dialogue to Bring About Change*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahrayar, Basra, 1st ed., 2024.
8. Zygmunt Bauman and Carlo Bordoni, *State of Crisis*, translated by Hajjaj Abu Jabr, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2018.
9. Zygmunt Bauman and Kate Tester, *Thus Spoke Zygmunt Bauman*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahrayar, Dhi Qar, 1st ed., 2025.
10. Zygmunt Bauman and Leonidas Donskis, *Liquid Evil: Living with No Alternative*, translated by Hajjaj Abu Jabr, introduction by Heba Raouf Ezzat. Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2018.

11. Zygmunt Bauman and Leonidas Donskis, *Moral Blindness: The Loss of Sensitivity in Liquid Modernity*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahriar, Basra, 1st ed., 2022.
12. Zygmunt Bauman, *44 Letters from the World of Liquid Modernity*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahriar, Basra, 1st ed., 2022.
13. Zygmunt Bauman, *Modernity's Wasted Souls and Its Outcasts*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahriar, Basra, 1st ed., 2022.
14. Zygmunt Bauman, *Consuming Life*, translated by Hassan Ahjij, Page Seven for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 2022.
15. Zygmunt Bauman, *Ethics in the Age of Liquid Modernity*, translated by Saad Al-Bazie and Buthaina Al-Ibrahim, Abu Dhabi Tourism and Culture Authority, Abu Dhabi, 1st ed., 2016.
16. Zygmunt Bauman, *Liquid Times: Living in Uncertainty*, translated by Hajjaj Abu Jabr, introduced by Heba Raouf Ezzat, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2017.
17. Zygmunt Bauman, *Collateral Damage: Social Inequality in the Age of Globalization*, translated, introduced, and commented on by Muhammad Al-Rahmouni, Page Seven for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 2022.
18. Zygmunt Bauman, *Liquid Culture*, translated by Hajjaj Abu Jabr, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2018.
19. Zygmunt Bauman, *The Community in Search of Safety in an Unsafe World*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahrayar, Basra, 1st ed., 2025.
20. Zygmunt Bauman, *Liquid Love: On the Fragility of Human Relationships*, translated by: Hajjaj Abu Jabr, Introduction: Heba Raouf Ezzat, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2016.
21. Zygmunt Bauman, *Liquid Modernity*, translated by Hajjaj Abu Jabr, introduction by Heba Raouf Ezzat, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2016.

22. Zygmunt Bauman, *Modernity and the Holocaust*, translated by Hajjaj Abu Jabr and Dina Ramadan, reviewed and introduced by Hajjaj Abu Jabr, Madarat for Research and Publishing, Cairo, 1st ed., 2014.
23. Zygmunt Bauman, *Freedom*, translated by Faral Hassan Khalifa, reviewed by Mohamed Sayed Hassan, Madbouly Library, Cairo, 1st ed., 2012.
24. Zygmunt Bauman, *Liquid Life*, translated by Hajjaj Abu Jabr, introduction by Heba Raouf Ezzat, Arab Network for Research and Publishing, Beirut, 1st ed., 2016.
25. Zygmunt Bauman, *Liquid Fear*, introduced by Heba Raouf, translated by Hajjaj Abu Jabr, Arab Network for Research and Publishing, 1st ed., 2017.
26. Zygmunt Bauman, *Death, Immortality, and Strategies for the Afterlife*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahryar, Basra, 1st ed., 2021.
27. Zygmunt Bauman, *Sketches in the Theory of Culture*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahryar, Dhi Qar, 1st ed., 2025.
28. Zygmunt Bauman, *On Education: From the Closed Mind to the Permanent Revolution: Dialogues with Riccardo Mazzeo*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahryar, Dhi Qar, 1st ed., 2025.
29. Zygmunt Bauman, *Strangers at Our Doors*, translated by Najib Al-Hasadi, Page Seven for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 2022.
30. Zygmunt Bauman, *After Modernity and its Torments*, translated by Mahmoud Ahmed Abdullah, Dar Shahryar, Basra, 1st ed., 2024.